البَلاغة فِي رَسائل أبِي إسحَاق الصّابي

(ت / ٣٨٤هـ)

إعداد

حسين سيد إبراهيم مسعود

طالب دكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية البنات للآداب والعلوم التربوية - جامعة عين شمس

- **التَمهيد** :

هَذه الدِراسة تَقع فِي مُقدمة ، وثَلاث فُصول ، أما المُقدمة فَقد بَينت الدافع إلى اختيار هَذه الدراسة ، والغَرض مِنها ، والدراسات التي سَبقت، ومَنهج البَحث ، ثُمَّ جَاء الفصل الأول والذي بِعنوان(البنية التركيبية لرَسائل الصّابي) لِيترجم مَوضوعات الرَسائل لَدى الصّابي ، والبنية التركيبية التقليدية لِهذه الرَسائل،والبنية التركيبية **غَيرالتقليدية** لِهذه الرَسائل، مَع بَيان بَعض الأسس والمُقومات التي بَاتت سَبيلاً فِي تَكوين نِتاجه الرَاقي .

أما التَراكيب وبَلاغتها وصُنوف أدواتها ومَدى تأثيرها وإحكام السَيطرة عليها مِن قبل أي مُبدع ، فكانت اساساً للفصل الثاني الذي كَان بِعُنوان (البَلاغة فِي رَسائل أبي إسحاق الصّابي) حَيث كان حديثنا فيه عَن التراكيب اللُغوية الفنية فِي رَسائل أبي إسحاق الصّابي مِن حَيث توظيف الكلمة والجُملة فِي رَسائله ،ثُمَّ الانتقال إلى الصُور الفنية في رَسائله، ثُمّ فنُون الإيقاع فِي رَسائل الصّابي، ثُمّ الانتقال إلى الأسَاليب غَير الإيقاعية. أما الفَصل الثَالث

فكـان بِعُنــوان (رَسائل الصّـابي فِـي مِيزان النقد)، فنحن لا نُـريـد أن نَضـع للرَجـل شَـهادات تـقـديـر، بل نَضـع له شَهادات تقـيـيـم تُـوضح لنا فيـمـا أبـدع ، وفيما أخـفـق .

- **الـدَراسـات التي سَبـقـت** .

- تَرجم المُستشرق الألماني (فِيليب فُولف) فِي سَنة(١٨٣٤م) يَتيمـة الدَهـر للثَعـالبي، ونـَشرها باللغة الألمانية فَقط ، وتَـرجم مَعها إلى اللغة الألمانية أيضاً بَعض أشعار الصّابي التي رَاسل بها أبا الفَـرج البَبـغـاء ، والتـي وَردت فـِي اليَتيمة ، على أن هَـذه المُحاولة رَكزت على شَعر الببغاء المَوجودة في مَصدر واحد فقط ، ولم تَهتم بِشعر الصّابي إلاَّ اهتماماً سَريعاً ، كمـا أنـهـا صَـدرت باللـغـة الألمانية مُـنـذ زمن بعـيـد .

- وفِي عَـام (١٨٩٨م) نَشـر شِكيب أرسِلان فِـي لبنان بَعض رَسائل الصّابي ، وبَـدأهـا بِمُقدمـة تَـرجم لـه فِيـها تـرجمة سَـريعة نَقل فيها أبياتاً قليلـة لـه عَن بَعض المَصـادر، ولكنـه لـم يُـشـر إلى كـل مَصادره التي نـَقـل عَنـها الـتـرجمة ، أو الأبـيـات .

- وفِي عَام (١٩٦١م) حَقق د/ مُحمد يُوسف نَجْم في الكويت الـرَسائل المُتبـادلـة بين الصّـابي ، والشَريف الرضي التي ضَمت بَعض الـرَسائل الشعرية للصّـابي بيد أنهـا لم تمثل إلاَّ جزءاً يَسيراً مـن شـعـره .

- وفِي عَام (١٩٧٧م) أعـدّ الـدكتور / مُحمد يُـونس عَبد العَـال - آداب عين شمس ، رِسـالة دُكتـوراه بِعنـوان (المُختـار مِن رَسـائل أبـي إسـحاق الصّـابي) تَحقيق ودِراسـة جَـاءت فِـي مُجلدين، وحَقق فِي المُجلد الثـاني الرَسـائل التـي نَشرهـا شكيب أرسِلان مِن قبل مُضيفاً إليها بعَض الـزِيادات بِحكم رُجـوعه إلـى عَـدد كبـير مِن الأُصول المَخطوطة .

- **مَـنـهـج هـذا البحـث** : الـوُقوف علـى الدَراسـات التـي سَبقتني، والتـي تَناولـت الصّـابي ، مَـع مُحاولة تَجاوزها ومُراعاة أنها قدّمت مـا لديها فِي حُدود المَصـادر التي أُتيحت لهـا ، ثم تَقصـي المَصادر التي ذكرت الصّابي ورسائله، ولـم تكن مُتاحـة لِمن سَبقني إليـه ، ثُمَّ عرض حياتـه ونكبته ، ومُؤلفاته بإيجاز .

- تَحليـل أُسلوب رَسائله تَحليلاً بَلاغياً، ثُمَّ الانتقال إلى مَوقف النُقاد مِن الصّابي ورَسائله .

- مَنهجي وَصفي تَحليلي ، فالبَاحث الأدبي الحَـديث كـمـا يـقـول الدكتور / شَوقي ضيف : (لا يَكفيـه مَنـهـج وَاحـد؛ لِكي يَنهـض بِعمله ، كَـمـا أنّ عَقل البَاحث لابد أن يَتحول إلى مَا يُشبه مِرآه تَعكس أضـواء تلك المَنـاهج ، فَتتحول تلك المَنـاهج بِدورها نَصب عَينيـه إلـى مَنـارات ضَخمة تَهديه السَبيل) .[١]

[١] البَحث الأدبي طبيعته ومَناهجه وأصوله ومَصادره : د / شَـوقـي ضيف ، طَبـعه دَار المَعارف - القاهـرة ، سَنة ١٩٧٢م ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

المبحث الأول : البنية التَركيبية لـرَسـائـل الصّـابــي .

-لا تعرف لغة فِي العَالم مَـا عَرفتـه العربيـة مِن أغراض الاستخدام ، وتَمـايز فِـي مَيـادين الكتابـة والكَلام ،ولذلك فـإنَّ لكـل عَصـر مـِن العُصـور طَـابعاً أسلوبياً عَـاماً يَتسم بـه ، ويطِبَع ُكتابـات أدبائه ، فيقارب بَينها فِي السِمات الأساسية مَع احتفاظ كُل كَاتب بِطـابع خَـاص يُميزه عَـن غَيـره بِبعـض السِمات التي لا تَكون عَنـد سِـواه بالـقـدر نَـفسه .

وبيت القصيد فِي أُسلوب الأديب ظُهور شَخصيته ، فِيما يَنتقيه مِن كَلمات ، ومَا يَصوغه من عِبارات ، وما يُبدع خياله مِن صُور، وما يُضيفه من نفسه ، ورَوحه عَلى هَذه العناصر ، فإنْ طغى الجانب الشخصي عَلى الجَانب العام فِي الأسلوب كان للكَاتب شَخصيته المُتفردة . لو لم تتمايز الأسَاليب لِما عَرفنا أفذاذاً كالجاحظ ، وابن العميد ، والمُتنبي ، والمَعري ، وشَوقي ، وطَه حُسين ، وغَيرهم مِن القمم الشامخة فِي أدبنا العربي القديم ، والحَديث عَلى السَواء .

لا تخرج رَسائل الصّابي مِن حَيث بَعض سَماتها عَن إطار عَصرها ، ولا عمّا يُحدده نَوعها ، إذ تختلف الرَسائل الديوانية فِي بَعض خَصائصها عَن الرَسائل الشخصية مَثلاً ، وهذا أمر طبيعي ، لكن لِرسالة الصّابي مَا يميزها ضَمن السَمات العامة للرَسائل فِي عَصره ، إذ أن لكل كاتب طَريقة ، وأن السَمة الواحدة ، وإن كانت عامة لِكُتاب العصر لابد أن تبرز فِي أدب كل كَاتب بِشكل مُتميز بالإضافة إلى ذلك نَجد أن لِرسالة الصّابي سِمات اختصت بها وحدها .

- إنَّ الميدان الآخر الذي يُنظر مِن خِلاله فِي رَسائل الصّابي ، فهو ميدان الشَكل والأُسلوب والصِياغة ، فَقد صَار مِن قيمة الكتابة تَقييم طريقتها وأسلوبها ، ووُضعت فِي ذلك اعتبارات ورسُوم وخَصائص ، وصَارت فيها السُنن المَعهودة التي يُقاس عليها مُستوى الكاتب وتفرّده .

ولذلك سنستطرد فِي عَرض البنية التركيبية لرَسائل الصّابي، ومَا تَفرد به عن غيره من كُتّاب عصره .

ونقصد **بقولنا <u>البنية التركيبية</u>** : **مِعمار الرِسالة** ، أو طريقة جَمع أجزاء بِنائها ، فكل رِسالة لها مَدخل ، ثُمَّ يدلف الكاتب إلى صُلب الرِسالة مُفصلاً القول ، أو مُوجزه ، ثُمَّ يُنهي رسالته بتمنيات طيبة للمُرسل إليه ، فإذا كان هَذا النمط هو الشائع ، فهل التزم به الصّابي ، أم حَاد عنه ، وإذا حَاد عنه ، فكيف كَان خُروجه عَن النَمط السَائد ، وهَل استمرت هذه الظاهرة ، أم أنها ظهرت طفرة ، ثُمَّ اختفت ؟ أما عَن البنية التركيبية لِهذه الرَسائل ، فَقد انقسمت قَسمين (تقليدي - وآخر غَير تَقليدي).

<u>القسم التَقليدي</u> : وأقصد به الطريقة المُتبعة فِي كتابة الرَسائل الأدبية فِي عَصره ، وهَذه الرَسائل تُمثل الأقل عَدداً ، إذا مَا قُورنت بالرَسائل غَير التقليدية ، والرَسائل التقليدية بَلغ عَددها [٢٧] سَبع وعشرون رِسالة ، وقَد سَار فيها الصّابي عَلى نَهج أقرانه مِن كُتَّاب عَصره .

<u>القَسم غَير التَقليدي</u> : وأقصد به الطريقة التي انتهجها الصّابي فِي كِتابة الرَسائل الأدبية ، واختلف فيها عَن أقرانه مِن كُتّاب عَصره ، فَقد مَثلت هذه الرسائل الكم الأكبر إذا مَا قُورنت بالقسم التقليدي ، فَقد بَلغ عَدد رَسائل هَذا القَسم [٤٠]أربعون رِسالة .

- لقد تقاسم النثر الفَني فِي العُصور القديمة <u>جَنسان أدبيان هُما</u> : الخُطب والرَسائل ، فإذا مَا ذكر انصرفت الآذان إليهما دُون غَيرهما نَظراً لِما يَتميزان بِه مِن حُضور مُتميز، ومَا يتبوآنه مِن

مَنزلة رَفيعة بين أجناس الأدب وفُنونه ، هَذا بالإضافة إلى مَا اضطلعنا بـه من أدوار ، وَوَظائف في الحياة الأدبية ، والاجتماعية ، والدينية ، والإدارية .

وهَكذا يَندرج ضِمن هذا النثر الفني ما يُصطلح عليه بـ (أدب الرسائل) الذي يُشكل جنساً أدبياً قائماً بذاته ، إذْ تَنضوي تَحته هُو الآخر أنواع مِن الرَسائل المُختلفة أسلُوباً ومَوضوعاً ، والمُتنوعة غَرضاً ومَقصداً ، والمُتفاوتة جَمالاً وتَأثيراً .

هَذا فَضلاً عمَّا رَاكمه أدب الرَسائل عَبر مَراحل تَطوره ، مِن قَواعد ومَعايير وخصائص ، ومن ثَمَّ أصبحت الرِسالة صناعة ذات قواعد وأصول.[٢]

إنَّ كَاتب الرِسالة مُطالب بإعادة النَظر فِي رَسائله ، وتَنقيحها وتَصحيحها ، يَقول بن وَهب الكَاتب : (فأما الرَسائل ، فالإنسان فِي فسحة مِن تَمكينها ، وتكرار النَظر فيها ، وإصلاح خَلل إنْ وقع في شيء منها) .[٣]

<u>النثر الفني في رسائل الصّابي</u> :

- لقد أكثر أبو إسحاق الصّابي من استلهام آي القرآن الكريم في كتبه ، ورسائله وتعددت طرائقه في تضمين القرآن الكريم ، فهو إما أن يستشهد بالآية كاملة ويُنبه عليها ، وإما أن يقتبس جزءاً من الآية ، ويجعلها تدعيماً لكلامه ، وإما أن يستوحي الألفاظ القرآنية في أسلوبه . وأما النوع الأول ، وهو استشهاد بالآية القرآنية كاملة ، فقد وسعته كتابات الصّابي ، وزخرت به لاسيما كتب العهود ، والمواثيق ، ورسائل الفتوح ، والرسائل الديوانية الأخرى ، وقد مرّ بنا كيف كان يدعم كل أمر من أوامر العهود ، ووصاياها بآية ، أو أكثر حتى لنجد وثيقة العهد من إنشاء الصّابي تحوي عشر آيات . وإن قلنا إن هذا كان مسلكاً فنياً في هذه الوثائق إلاَّ أنه كان أكثر استخداماً للقرآن الكريم في العهود من مُعاصريه [٤] وقد وفق الصّابي في استشهاداته القرآنية في كتب الفتوح ، فهو في حديثه عن الأمير الظاهر (الظافر) بعدوه يستشهد بالقرآن الكريم على هذا النحو ، فيقول: (وعقد له بها لواء الظفر أين يمَّم ، ومدّ عليه رواق النصر حيث خيم)، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : (وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ)[٥].

وحين يصف ما حلّ بالعدو ، وقد جلب العار ولحقته الخزي ، وقرع سن الندم على ما آل إليه من الذل ، واستباحة دمه ، ويستشهد بالآية حين يقول : (وقد حقت عليه كلمة الله <u>إذ يقول</u> : (ذَلِكَ بِمَا

---

[٢] - فُنون النثر الأدبي بالأندلس : مُصطفى الزباخ ،الدار العلمية للطباعة والنشر، ، بَيروت ، د .ط . ت ، ص ١٥٨

[٣] البُرهان فِي وجوه البيان : بن وهب الكاتب ، طبعة مكتبة الآداب – القاهرة - سنة ١٩٦٩م ، ص ١٥١ .

[٤] راجع المُختار المُحقق : ص ٨١/ ٩٣ / ١٠١ / ١٠٧ / ١٢٢ / ١٢٥ / ١٢٨ على سبيل المثال .

[٥] المصدر السابق : ص١٦، والمُختار– ط . شكيب أرسلان ، ص٢٦ ، سُورة الشورى : الآية ٢٣.

قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ) [٦]، وإذ يقول عزوجل :(وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً[٧] (٨) .

ويقول الصّابي في موضع آخر : (فتلك عاقبة من ظلم وكفر وخان وغدر ، وبغى واستكبر ، وعتى وتجبر)، والله عزوجل يقول فيه ، وفي أمثاله : (وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ) (٩) . (١٠)

لاشك أنها استشهادات تنطق بفهم الكاتب لمعاني القرآن الكريم ، وحصافته في وضعها مواضعها النافذة ، فللولي آيات الوعد والبشرى ، وللعدو آيات التخويف والوعيد ، والاستشهادات في كتب الفتوح وفيرة كلها دليل قوي علي حذق الصّابي في التمثيل والاحتجاج .

- **<u>الاقتباس من الأحاديث النبوية الشريفة</u>** . ومثلما اقتبس الصّابي من آيات القرآن الكريم ، فإنه اقتبس من الأحاديث الشريفة ما يُعزز مضامين كتابته ويُضفي عليها جوانب في صدق ما يكتب ، وإلزام من تخصه الرسالة بالأقوال التي قالها النبي مُحمد - صلى الله عليه وسلم - في فحوى غرض الرسالة طالما أن المُخاطب مُسلم ومؤمن بديانته ، وبالنبي الذي جاء بهذه الديانة ، فيكون عليه التسليم أحق من غيره .

لقد حفظ أبو إسحاق الصّابي قدراً من الأحاديث النبوية ، واستشهد بها في رسالته ووثائقه ؛ ليرقى بما ضمّنه إياها من أوامر ووصايا إلى درجة الصحة واليقين(فإن الدليل على المقصد إذا استند

---

[٦] سُورة الأنفال : الآية ٥١.
[٧] سُورة الكهف : الآية ٤٩.
[٨] المُختار المُحقق : ص١٧، المُختار– ط . شكيب أرسلان ، ص٢٧.
[٩] سُورة النحل : الآية ١١٢.
[١٠] - المُختار المُحقق : ص٢٨، المُختار– ط . شكيب أرسلان ، ص٤٢.

إلى النص سلم له) ([١١])، فها هو ذا يأمر واليه - على لسان الخليفة - بأداء اللُقطة إلى أصحابها ، فيقول له : (وأن يعرف اللقطات ، ويستأنى بها حضور أربابها ، فيسلمها إلى من يستحقها ، بأوصافها ، فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ضالة المُؤمن حرق النار([١٢]) .([١٣])

- الكلمات التاريخية من التاريخ الأدبي :

أ – **الشعـراء** . النماذج التوضيحية التي سَنعرضها عمّا قليل ستوضح لنا أن الصّابي كان كثير الاستشهاد بأشعار المَشهورين من الشعراء في رسائله الرسمية ، والإخوانية ، وكان ينبه ([١٤]) على أسمائهم حيناً كما فعل مع المتنبي ، والبحتري ، وأبي العتاهية . كما لم يصرح ([١٥]) ببعضهم حيناً آخر برغم شهرة الأبيات الشعرية لهم كما في بيت النابغة الذبياني وبيت مجنون ليلى . وقد بلغ من غرامه بتحليه نثره بالشعر أنه كان يضمن رسائله الإخوانية أشعاراً نظمها هو بنفسه ([١٦]) ولاسيما في رسائل التهاني ، والشكوى إلى الحد الذي تجد فيه الرسالة ، والقصيدة الطويلة مُتعانقين في رسالة صابئية واحدة .

ومثل ذلك قول الصّابي في مَعرض حديثه في إصلاح بين البويهيين ابني العم عضد الدولة ، وبختيار في صراعهما على تملك البلاد: (فمعلوم أنهم وإخوانهم من أوليائنا الديلم إنما تساقوا كؤوس الحِمام بعد كؤوس المُدام ، وخرجوا إلى تنازع الأعداء بعد توادع الأصدقاء تنافساً فينا وغيره على المنزلة منا ، وطاعة للعصبية والنفوس الغضبة التي لم يزل داؤها المُعضل ، وخطبها المُشكل قاطعين بين المرء وأخيه وابن العم وذويه ، وما كان الفريقان كلاهما إلاَّ

كما قال البحتري) :

وفرسانُ هيجاءٍ تَجيشُ صُدورُها ... بأحقادِها حتى تضيقَ دُرُوعُها

تُقتّل من وترٍ أعزَّ نفوسِها ... عليها بأيدٍ ما تكاد تُطيعُها

---

[١١] - نِهاية الأرب فِي فُنون الأدب : النُويري / شِهاب الدين أحمد بن عَبد الوَهاب (ت٧٣٣هـ)، ط . دَار الكتب ، سَنة (١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م)- جـ٧، ص ٢٩

[١٢] المُعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف عَن كُتب السُنة ، نشر مَجموعة مِن المُستشرقين ،، دَار الدَعوة - اسطنبول- سَنة (١٩٨٨م)، رَتبة ونظمه لفيف مِن المُستشرقين ، ونَشره د / وينسفك أستاذ اللغة العربية بِجامعة ليدن ، جـ١- ص ٤٥٠ ، الترمذي ١١ / الرامي (بيوع) ٦١، ابن حنبل ، جـ٤- ص٨٥،٢٥ .

[١٣] المُختار من رسائل أبي إسحاق الصّابي - ط . شكيب أرسلان ، ص١٣٧، ١٥٨.

[١٤] راجع المزيد من ذلك في المختار المحقق : ص ٣٤٥ ، ١٧٧ ، ٣٨٢ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢

[١٥] المصدر السابق : ص ٢٤٩ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٦٥ .

[١٦] المصدر السابق : ص٣٤٧ ، ٣٥٦ ن ٣٧٣ ، ٣٨١ ، ٤١١ ، ٤١٤ ، ٤٢٨ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤

إذا احترَبتْ يـــوماً ففاضت دِماؤُها تَذكـــرتْ القُـــربى ففاضت دُمُوعها

([١٧])

ب – **المُلوك والوزراء** . لنقرأ معاً عهد الصّابي الذي كتبه على لسان الخليفة الطائع لله إلى فخر الدولة ، ونبدأ معه حيث يقول: (هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى فخر الدولة أبي الحسن بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المُؤمنين حين عرف غناءه ،وبلاءه واستصح دينه ويقينه ، ورعى قديمه وحديثه ، واستنجب عودة ونجاره) هكذا يبدأ العهد ببيان (ممن ، ولمن) مَقروناً بالكنى ، والألقاب ورتبة كلا الطرفين ، ثُمَّ يذكر المَناقب التي يتمتع بها الوالي من حُسن بلاء وصحة دين ، وبرد يقين ، وطهارة نسب ، وعراقة أصل إضافة إلى ثناء عز الدولة بختيار عليه ، والشفاعة له لدى أمير المؤمنين ليتقلد ما تقلده .

شاهد آخر : هذه نسخة العهد يقول الصّابي في مُقدمتها : (من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى شيرزيك بن عضد الدولة، وتاج الملة أبي شجاع مولى أمير المؤمنين :

سلام عليك ، فإن أمير المُؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على مُحمد عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – أما بعد : أطال الله بقاءك ، وأدام عزك وتأييدك ، وسعادتك ونعمتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالموهبة فيك وعندك) .([١٨])

جـ- **من الأمثال السائرة** :

لقد زخرت رسائل الصّابي بثروة هائلة من الأمثال السائرة ضمنها نثره إلى درجة تحس معها ، وأنت تقرأ أنه كان جيد الحفظ لها عالماً باسرار بلاغتها مُتمثلاً معانيها ، وسياقاتها ، فجاء كلامه مُوشحاً بها دون كلفة ، ولا مشقة .

لقد ضمن الصّابي رسائله من الأمثال الواردة في معاجم الأمثال ، فأتى ببعضها على صورته ، وحول بعضها الآخر عن صورته ؛ ليستقيم له سياق الكلام . فمن العبارات التي اقتبس فيها من الأمثال قوله واصفاً الأعداء : (فأما ما شرحه مولانا الملك السيد ، أدام الله علاءه ، وتمم نعماءه من تقسيم أعدائه بين قتيل صار إلى النار ، وهزيم تقنع بالعار ، فأيديهم أوكت ، وأفواههم نفخت) ([١٩]).

---

[١٧] - ديوان البحتري : تحقيق حسن كامل الصيرفي ، جـ٣ – ص ١٢٩٩ .

[١٨] صبح الأعشى : للقلقشندي – جـ١٠ ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

[١٩] المُختار : ط . شكيب أرسلان ، ص٧١ ، والمختار المحقق :" ص٥٣ ، وانظر أيضاً ص ١٦٥ /١٦٦ .

فبدلاً من أن يقول مُصرحاً أن الأعداء جنوا على أنفسهم اقتبس المثل : (يداك أو كتا ،وفوك نفخ) ([٢٠])، وحوله من صيغة المفرد المخاطب إلى صيغة الجمع الغائب ؛ ليستقيم له سياق الكلام .

وهذا أبلغ من التصريح ؛لأنه يحمل القارئ على التفكير ، ومن ثَمَّ تؤكد المعنى لديه بعد التكنية عنه بضرب المثل ، ومن ذلك قول الصّابي : (لكنه عالم بأنك الحُوّل القلب المحنك) ([٢١])، وقد أخذ المثل على صورته ، والمعنى أن المُخاطب داهية يقلب الأمور ظهراً لبطن ، والتلميح أبلغ من التصريح ، ومنه وصفه أحد الجاحدين للنعمة الغامطين أصحاب الفضل عليهم بأنه (نزت به نوازى البطنة) .([٢٢])

- **<u>ومن أقواله المَأثورة في الأقدار</u>**:

(لله تعالى أقدار تُرد في أوقاتها ، وقَضايا تَجري إلى غاياتها ، ولا يُرد شيء منها عن شأوه ومَداه ، ولا يَصد دون مَبلغه ومَنحاه ، فهي كالسِهام التي تثبت في الأعراض ، ولا ترجع بالاعتراض ، والناس فيما بين غبطة يجب الشكر عليها ، ورزية يوثق بالعوض عنها) . ([٢٣])

<u>المُؤشرات</u> : <u>من خلال عرضنا السابق تبين لنا</u> .

<u>أولاً</u> : أن أبا إسحاق الصّابي قد طوّف في أرجاء ثقافة العصر التي أتيحت له ، وكان يأخذ منها بجدية ، وعمق وصبر ، ولا يَسمح لنفسه أن تفوته مَعلومة من المُمكن أن يُوظفها في لوحاته الفنية ، وفي هذا إدراك واعٍ منه بمَسئولية الفنان أمام نفسه ، وأمام تاريخ الفن الذي يُمارسه ، والمُجتمع الذي يَنتمي إليه .

<u>ثانياً</u> : أن هذه الكلمات الوَافدة من مُختلف المَيادين المَعرفية عادة ما تكون مُثقلة بتاريخ تَداولها على الألسن ، وبِتعاقب الأحداث التي ارتبطت بها ، وبآراء مُختلفة ، ومَشاعر مُتعددة سواء كانت من القرآن الكريم ، أو عَلماً من الأعلام ، أو كلمة إسلامية ، أو فلسفية ..... إلخ .

ويبقى جانب آخر ، وهو حُسن الاختيار ، ومُناسبة المَكان ، واعتقد أن هَذين العاملين هما الفرصة الوحيدة التي تُمكن الكلمة المختارة من سعة العطاء ، وثراء الأداء .

- الفنان على وعي بهذا ، وعلى وعي بأن الكلمة المُختارة والمكان المُناسب هما المناخ الطبيعي الذي يُهيئ الكلمة أن تَعطى عطاءها ، ولكنه قد يَجد الكلمة الصالحة للاختيار بحاجة إلى تعديل ؛ لتتناسب مع السياق ، فيضطر إلى إدخال تعديل قد يتعارض مع الضوابط النحوية ، والصرفية ، أو الاستعمال العام للكلمة ، وقد يحتاج الفنان الكلمة ، ولا يجد منها إلا بنية ثابتة لا تصلح

---

[٢٠] مجمع الأمثال : الميداني ، تحقيق / مُحمد أبو الفضل ، ط . دار الجيل - بيروت ، ط ٢ - سنة (١٩٨٧م) جـ٣ ، ص ٥١٩ .

[٢١] المُختار : ط . شكيب أرسلان ، ص٢٠٤ ، والمختار المحقق :" ص١٨١، وانظر أيضاً مجمع الأمثال : للميداني ، جـ١ -ص ٩٧ .

[٢٢] المرجع السابق : ص٢١ ، والمُختار المُحقق : ص٧ ، وانظر ص ٤٢ .

[٢٣] يتيمة الدهر : جـ٢ – ص ٢٥٢ ، وزهر الآداب : جـ ٤، ص ٩٥٧ .

للسياق ، فيتولى اشتقاق البنية التي يـراها مُناسبة ، ولا حرج عليه ، فهو الصانع الحقيقي للغة الأدبية ، والتي تنتشر بعد ذلك؛ لتدخل في نسيج اللغة العامة .

والمُبرر الذي يدفع الفنان إلى العدول عن المُتعارف عليه بالنسبة للكلمة إلى شكل آخر يُدخله عليها أنه حينما يُحسن اختيار الكلمة مع اختيار المَوقع الجيد سَتتولى الكلمة إقامة علاقات حيوية مع جاراتها ، وتَندمج في السياق ، وتُضفي عليه من عَطائها حتى تَتحول إلى جُزء ضَروري في بناء نَسيج المعنى ، والشكل في العمل الفني اللغوي .

ولابد أن أشير أن هذه الرخصة ليست مباحة لكل فنان ، وإلاَّ تحول الأمر إلى تخريب للغة ، أقول أنها رخصة للضرورة ، ومُباحة للفنان المُتمكن الذي يعرف ماذا يفعل ؟ وكيف يكتب ؟

البنية التركيبية غَير التَقليدية فِي رَسائل أبي إسحاق الصّابي .

- **طُول الرسالة ، والتَفصيل الوَصفي** . تتميز الرِسالة لَدى الصّابي بالطُول الظَاهر الذي قَد يَصل إلى مَا يزيد عَن عِشرين صَفحة ، وهَذه الرَسائل هَي التي تَخص وَصف المَعارك والفُتوح التي دَارت ، والتي كَان الصّابي يَكتب فيها مِن حَيثُ الأسباب والوَصف والنَتائج ، حَتى عدت هَذه الرَسائل فِي جَانب فيها شَكلاً تَوثيقياً للحَدث . ويَرجع طُول الرَسائل لَدى الصّابي إلى تَشعب المَوضوعات التي تُعالجها أحياناً ، وانتحائه مَنحى تَفصيلياً ، بالإضافة إلى رتَابة الرِسالة الدِيوانية ، ومَا تَستدعيه مِن التحميد والدعاء ، والايضاح والشَرح وغَير ذَلك . ومثال ذلك رسالة كتبها الصّابي عَن عَز الدولة عَند دُخوله المُوصل، وانهزام أبي تَغلب الحمداني عنها سَنة (٣٦٣هـ) ([٢٤])، فإننا نُلاحظ احتواء مُقدمتها على تَحميده ودُعاء .

أما التَحميدة ، فيُمكن أن تُقسم إلى أربع تَحميدات :

في الأولى : يَحمد الله ، ويَذكر صِفاته فِي العَظمة ، والعَدل والكَرم ، ومُساعدة الأولياء ، والانتقام مِن الأعداء .

والتَحميدة الثانية : أن الله اصطفى مُحمداً للنبوة ، فَنقل النَاس مِن الضَلال إلى الهُدى والتَوحيد .

والتَحميدة الثالثة : أنه انتخب أمير المُؤمنين من الأصل الشريف .

والتَحميدة الرَابعة : فهي عَلى أن الله أهّل للبُويهيين رُكن الدولة ، وعَضد الدولة ، وعَز الدولة للقيام بأمور الدولة ومُراعاة أحوالها . ومَع أن طُول الرِسالة قد يُوقع الكاتب في قُصور التتبع ، ويُضعف السَبك ويَكون مَدعاة للملل ، إلاّ أن هَذه الأمُور لم تظهر في رَسائل الصّابي ، وظلت رسائله مُترابطة متينة البناء ، وربما جَزأ الصّابي سِياقاته في الرسالة ، فصَار كل جُزء مِنها يَخدم نَاحية مُعينة مِن نَواحي السَرد الذي يُريد الوُصول إليه ، بِحيث يَجعل القَارئ يندمج مع

[٢٤] الرِسالة كَاملة فِي المُختار مِن رَسائل أبي إسحاق الصّابي : ط . شكيب أرسلان ، ص ٨٠ : ٩٢ .

الأسلوب التَصعيدي فِي سَرد المَعارك مع حيوية في الوصف تجعل القارئ يعيش النص ، وهو يقرؤه . لقد كَان الصّابي مَاهراً فِي جَعل الخليفة ، أو الأمير ، أو الوزير الذي كَتب باسمه الرِسالة صَاحب الحَق أقدم عليه ، ويُصور الطَرف الآخر بأنه المُسبب الذي يَجب أن تَدور عليه الدائرة .

وعَلى مِثل هَذه الإطالة جَرى أبو إسحاق الصّابي فِي كَثير مِن رَسائل الفتح كرسالة فتح بغداد ([٢٥]) ، ورِسالة اسر الدمسق عَظيم الرُوم ([٢٦]) ، ولكن الإطالة لدى الصّابي غالباً مَا كانت تَخدم أهدافاً فِي رِسالته ، وهَذا ما سَنعرض له تَحليل نَماذج مِن نَثره .

أولاً : خَلق ثنائية مُتقابلة في الرسالة بِواسطة إطالة المُقدمة كما رأينا ، فَمِن نَاحية لدينا البويهيون التَابعون للخليفة المنتمي إلى مُحمد - صلى الله عليه وسلم - ،وهذا يُعطي شرعية للحكم، ويجعله مُمثلاً لله ، وخليفته على الأرض، ويُقابله من ناحية أُخرى جماعة من المُرتدين العاصين المُنكرين لشرعية الحكم الخارجين عن الطاعة لحاكم بغداد ، ومن ثَمَّ للرسول مُحمد - صلى الله عليه وسلم - ، ومن ثَمَّ لله سُبحانه وتعالى . النتيجة التي يصبوا إليها الصّابي مِن ذَلك هُو التأكيد عَلى أنَّ طاعة الأمير الصالح هَي مِن طَاعة الخَليفة الصَالح الذي يُؤيد ما أداه النبي مُحمد - صلى الله عليه وسلم - عن الله عزوجل مصداقاً لقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }. ([٢٧])

ثانياً : الإفاضة في شَرح أسباب حَملة عَز الدولة على المُوصل ، وذَكر أعمال أبي تغلب وسَيئاته يَخدم عَدة أمور/ **الأمــر الأول** : تغطية حقيقة موقف عَز الدولة حَيث يَبدو بَريئاً مِن كُل رَغبة شَخصية دَفعته إلى المُوصل كاللهو ، والصَيد ، وجَمع الأموال ، ثُمَّ إنَّ الصّابي لا يَكتفي بتبرئة عز الدولة ، بل يَجعل ذِهابه ضَرورياً حيث يَظهر بِمظهر الحَاكم الشرعي الذي يُنفذ أحكام الشريعة .

الأمــر الثاني : هُو إضعاف مَوقف أبي تغلب ، فَذكر سَيئاته، ثُمَّ الاستطراد فِي ذكر مَا جرى بينه ، وبين والده وإخوانه يخدم في إدانته ، فيبدو فِي الرِسالة بِصورة المُناقض تَماماً لما يجب أن يكون كما جَاء فِي القُرآن الكريم .

فبدلاً من أن يَكون القَائد المُسلم المُرابط فِي الثَغر يَنحط إلى مَرتبة عَامل مِن عُمال صَاحب الرُوم ، أو بَطريق مِن بَطارقته يهديه الخَمر والصُلبان ، لذا تَجب مُقاتله شَرعاً .

---

[٢٥] - المَصدر نَفسه : ص ٦٤ : ٧٥ .
[٢٦] رَسائل الصّابي : ص ١٧ : ٤٢ .
[٢٧] سُورة النساء : الآية ٥٩.

الأمـــر الثالث : يَخدم التطويل فِي الإتاحة لِعناصر فَنية بَالبروز فِي الرِسالة كَرسم الشَخصيات ، والتَطوير التصاعدي فِي الأحداث ، واذهـب إلـى أنَّ الإطـالـة مِن مُستلزمات أُسلـوب الصّـابي الـذي يَسير عَلى وَتيرة واحدة ، ويتميز بالهدوء النسبـي ، أو كـمـا قـال التـوحـيـدي : ([٢٨])

(فأما أبو إسحاق فإنه أحب الناس للطريقة المُستقمية، وأمضاهم على المَحجة الوسطى، وأبو إسحاق مَعانيه فَلسفية، وطباعه عراقية، وعادته مَحمودة؛ لا يثب ولا يرسب، ولا يكل ولا يكهم، ولا يلتفت وهُو مُتوجه، ولا يتوجه وهُو مُلتفت).

ـ طُول العِبارات ، والتَوازن المُوسيقى .

مِن خَصائص نَثر الصّابي التي تَبدو فِي رَسائله ، والتي تُشكل هَي ، أو بَعضها سَبباً مِن أسباب طُول هَذه الرَسائل استعماله العِبارات الطَويلة ، ممّا يُبعد كَلامه عَن التَوثب والحَدة عَامة ، ويَسمه بالهدوء والانسياب ، إلاّ أنه لم يَعدم العِبارات القَصيرة المَسجوعة .

وهنا يُمكن مُلاحظة خَاصة مُهمة فِي أسلوب أبي إسحاق الصّابي ، وهَـي تَـأثره باسلـوب القُـرآن الكَريم مِن نَاحيـة طُـول العِبـارات وقِصـرها ، حَيثُ إنـه يَستعـمل العِبـارات الطَويلـة ؛ لِشَـرح الأمور التي تَحتاج إلى شَرح وايضاح ، وتَقرير وافهام ، فيما يَستعمل العِبارات القَصيرة ؛ ليُـعبر عَـن أحـداث شَـديـدة الـوَقـع كالمَعارك .

ففي القُرآن الكَريم نَجد أن الآيـات المَدنية التي نـزلـت لِتضع أُصول الشَريعة تُـقررها فِي الأذهان تَمتاز بِطولها وهُدوئها ، أما الآيات المَكية التـي كَانـت تُـؤسـس العَقيدة التَوحيدية ، وتَهدم الكُـفـر وتَـهـدم اربابـه ، فَقد امتـازت بالقِصـر والتركيـز . ويُقرن الصّـابي اسـتعماله للعِبـارات الطَويلـة باسـتعماله السَـجع ، والازدواج مِمَـا يَخلـق تَوازنـاً مُوسـيقياً مُتناغمـاً يُقصـر العبـارات الطويلـة ، ويُغنيها بالحيوية والحركة كـقـولـه :

(لا أعدم الله مَوالينا السَادة الأمراء الأخذ بِنواصـي أعدائهم طَوعاً مِمن اطـاع وخَضـع ، وكرهاً مِمن خَالف وخَلع ، وسلماً مِمن سَالم وتَابع ، وحَرباً مِمن حَارب ونَازع.

وقَد يَصل شَغف الصّابي بالازدواج أحياناً حدّاً يَجعله يُقرن بين جُملتين تتوازن أجزاؤهما تَوازنـاً مُتسقاً كقوله : (..... فما يَلوذ بجـانـبـا لائـذ ، ولا يَـعوذ بـقـوتنا عَـائـذ إلاّ كـانـت عليـه يَـد مـن الله كانفة واقية ، وعَين كالئة رَاعية ، وكانت السَلامة لـه مَضمونـة ، والعاقبة عَليه مَأمـونـة ، ولا ينـجـم بمُنابذتـنـا ناجـم ، ولا يعـزم على مُباينتـنا عازم ، إلاَّ قطع الله دَابره ، وجَبّ غاربه ، وكَدر شـمـسـه).

مما سَبق ذَكره توصلنا إلى أن حَرص الصّابي في كل كتاباته على مُوسيقى الكلام التي نَمّى عَنده مَعرفة ، ودِراية وحُب للمُوسيقى عَامة ، وعَلى حَسه المُرهف ، فكانت مُفردات لُغته ذات

---

[٢٨] أبـو حيـان (ت ٤٠٠هــ) : الإمتـاع والمُؤانسـة ، تَحقيـق د / أحـمـد أميـن ، وأحـمـد الـزيـن ، طَـبع لَجنـة التـأليـف والترجـمـة والنـَشـر ـ سَنـة (١٩٣٩ : ١٩٤٢م) .

جَرس مُوسيقى مَسموع له وقع فِي النَفس ، ويُطرب القلب فِي الحس إن كان فِي السَجع المَعهود والمَشهود له ، أو في المُزاوجة فِي الفقرات ، أو الترصيع فِي المُقابلة بين الكلمات المسجوعة بين جُملتين كما فِي قوله : (واتصل حَبلها بَعد البتات ، والتأم شملها بَعد الشتات) .

وقوله : (وَسطع بِمصباحه ، ونَصع بأوضاحه .....)[٢٩] ، وكذلك فِي تَقابل المَعاني فِي قَولـه :

(وأن يخلد فِي بِطون الصحائف غلطنا وغلطك في احساننا ، واساءتك ، وحفظنا واضاعتك .....)[٣٠] ، وفِي تكرار اشتقاق الكلمات مِن جِذر وَاحد للكلمة كَما فِي قَوله : (وقُم قيام مثلك ، وتجرّد له تجرُد من حل من الغناء بمحلك ، وحط الحاج حياطة تامة ، ودد عنهم ذيادة عامة ، ورفعهم فِي المَسير رَفاهية مُعتدلة ، وأرم عَنهم جَميعاً مَراماة مُتصلة)[٣١].

المبحث الثاني : البَلاغة فِي رَسائل الصّابي .

- وهَي الهَدف الأساسي مِن دَرس رَسائل الصّابي ، ومَا الفَصل الأول إلاَّ تقدمة ، ومِهاد لِفصل الأدوات التي نَجح الصّابي فِي تَوظيفها ؛ لِتفرز له لوناً مِن ألوان البَلاغة فِي التَراكيب اللُغوية الفنية، والصُور، والإيقاعات، وكذا الأدوات التي لا تُجسد الإيقاع، فَقد وَظفها الصّابي ؛ ليُزين بها رَسائله مُهتدياً بالمعنى المَقصود ، ومندفعاً إلى تقديم هذا المعنى الذي يسعى إلى تقديمه في ثوبٍ قشيب .

دَور الكلمة فِي الدَرس البَلاغي .

- للكلمة عند البلاغيين دَور ذُو رُكنين أساسيين هُما :

أ - الوَفاء بالمَعنى . ب – الإمتاع بالجمال .

فحين تَتبلور الفكرة فِي ذِهن المُتكلم تكون قَد اكتسبت الألفاظ المُباشرة التي تُعبر عنها ،وتنقلها مِن مُجرد تَصورات شخصية إلى ألفاظ مَكتوبة مَقروءة ، ثُمَّ يتولى المُتكلم إذا كان أديباً يرغب فِي صياغة فكرته صِياغة فنية ، يَتولى اختيار الألفاظ القادرة على إيصال المعنى بِصورة دقيقة شاملة جامعة ، بِحيث تَستوعب جوانبها ، وتعدو بما لديها من خصائص دلالية ، وفنية أن تعيش طويلاً .

الوفاء بالمعنى هُو القيمة الوظيفية للكلمة الذي من أجله اختيرت ؛ لتقوم بإيصاله إلى المُخاطب ، وليس هَذا الركن مَقصوراً على الكلمة ، بل هو رُكن أساسي في بناء الجملة والعبارة

---

٢٩ _ لِقاح الخَواطر : الأوراق ٩٤

٣٠ _ المُختار مِن رَسائل أبي إسحاق الصّابي : ط . شكيب أرسلان ، ص١٤٥ ، وفي المُختار المُحقق : ص ١٢٥

٣١ _ المَرجع السَابق : ص ١١٧ .

ومن هنا أفرد البلاغيون باباً أسموه (باب ائتلاف اللفظ مع المعنى)[٣٢] في القرآن الكريم ، أو في الشعر ، وتحدثوا طويلاً عن مقاييس المال في الكلمة ، وفي عيوبها[٣٣].

ومن مقاييس الجمال في اختيار الكلمة أن تكون مُعبرة تعبيراً صادقاً عن قائلها ـ تظهر فيه ثقافته واتجاهات فكره وبيئته التي يعيش فيها ، ومذهبه الفني - أي أن تكون جزءاً من مُعجم ألفاظه التي تَعوّد أن يستعمله ..... ، هذا هو دور الكلمة في الدرس البلاغي .

أولاً : أن تؤدي المَعنى المُراد خَير أداء .

ثانياً : أن تشيع جَوّاً من المُتعة بخصائصها الدلالية ، ومكانها المُختار في الجُملة .

ثالثاً : أن تترجم بِصدق فن ، ونفس وعقل صاحبها .

رابعاً: أن تُقوم بتبادل الأخذ ، والعطاء بينها ،وبين جاراتها من الألفاظ .

خامساً : ألاَّ يُغني غناءها لفظ آخر .

(الصورالفنية في رسائل الصّابي) .

التشبيه : ولقد أُوتي أبو إسحاق الصّابي من الحس المرهف ، والذوق المُهذب والثقافة الواسعة ما جعله ذا عين تصويرية ، وإنشاء بلاغي حافل بالصور النابضة بالحركة ، فعباراته مُوحية ، وفقراته لوحات بديعية شاهدنا كثيراً منها في وصف المعارك الحربية متخللة سرده للأحداث التاريخية ، ورأينا لوحاته في وصف الصيد ، وسنقف عندها الآن للتحليل والوصف .

ـ ومثل ذلك ما كتبه الصّابي في رسالته عن مُعز الدولة [الحُسين أحمد بن بويه] عند ظفره برُوزبهان العاصي عليه بالأهواز :

(وكانوا كالغنم السارحة التي لا راعي لها ، والإبل السائمة التي لا سائق معها ، انجذاباً إلى البصرة ، ومن تابعهما من أهل البصيرة والنصرة ، و إفراجاً له عن الأهواز بعد أن كان أبو مُحمد أصغرها من كل خير ، واقفرها من كل مير[٣٤]، ودخلها الخائن دخول الكافر الغادر ، وتنابحت إليه كلاب الغارة الشعواء ، وتعادت إليه ذئاب الصيلم [٣٥] الصماء طمعاً منهم في الوصول إلى ما عنده ، وإقامة سوق يستنفذون بها حاصله[٣٦]) .

---

٣٢ - انظر نقد الشعر : لقدامة بن جعفر / ١٧١.

٣٣ - انظر سر الفصاحة : للخفاجي ص ٥٣ ، وما بعدها .

٣٤ - مير : يُقال ما عنده خير ولا مير ، وماره أتي له بطعام .

٣٥ - الصيلم : الداهية .

٣٦ - المُختار من رسائل أبي إسحاق الصّابي : ط . شكيب أرسلان ، ص ٣٨ .

[وكانوا كالغنم السارحة التي لا راعي لها ، والإبل السائمة التي لا سائق معها] الجُملة السابقة تشبيه تمثيلي ، فالصّابي اعتاد في تكوين صُوره الفنية أن يُلقي الضوء على بعض الخطوط ، ويُركز على بعض الجوانب بما يُنبه السامع إلى مَغزى الصورة ومَقصدها .

فالصّابي شبه رُوزبهان هذا العاصي الخارج عن أمر الخليفة ، ومن تبعه من الناس كالأغنام الضالة التي لا راعى لها ، وكالإبل السائمة التي لا سائق لها ، فالمُثير (المُشبه) ، وهو رُوزبهان العاصي ، ومن معه ولّد عند الصّابي استجابة جعلته يُشبهه بأدنى شيء [المُشبه به] ، وهي الأنعام والغنم السارحة .

وهذه الصورة يأتي تأثيرها من التضخيم ، والغلو فالصّابي يلجأ إلى المُبالغة ؛ لتضخيم الحدث الذي قام به هذا العاصي ، فطاعة ولىّ الأمر [الخليفة] من طاعة الله ورسوله .

كما أن عاطفة الصّابي الحزينة العميقة المُتمكنة في زمام نفس الكاتب قد ولّدت تلك الصورة ، فأفعال رُوزبهان ، وتحريضه الناس على عصيان أمر الخليفة ، والخروج عن طاعته هي سبب هذا الحزن الشديد ، بل نراها فرضت نفسها على تركيب لغوي مُستقر،فصاغته وفقاً لطبيعتها ، وبما يدل علي تمزق نفس الصّابي جرّاء هذا الفعل الأحمق

الكناية :

- لا يشغلني أن أبحث عن وضع الكناية ، هل هي كناية عن صفة ، أو عن موصوف ، أو عن نسبة ، ولكن يهمنا هو أن نبحث ماذا أحدثت هذه الكناية ؟ وماذا أضافت إلى المعنى ، ومن ثَمَّ إلى الإيقاع الذي حَوى بداخله تلك الكناية ؟

ومن كنايات الصّابي قوله : (لم يمهله فواقاً ، ولا أبلغه ريقاً)([٣٧]) هي كناية عن الانقضاض .(نكأ القلوب وجرحها ، وأحر الأكباد وأقرحها ، وأغص الصدور ببرحائها، وغض الجفون على أقذافها) ([٣٨])، وكلها كنايات عن الجرائم التي ارتكبها .

ومثل ذلك أيضاً قول الصّابي في رسالته التي كتبها عن المُطيع لله – رحمه الله تعالى - إلى ركن الدولة أبي علي بخبر أسر الدمستق عظيم الروم ([٣٩]) :

(فالْحَمْدُ للَّهِ الذي أنجز وعده ، واعز جنده ،وجعل رايات أمير المُؤمنين منصورة ، وعداته مقهورة ، وهو المسئول إتمام ما أسدي من عارفة ومنّه ، وإسباغ ما أولى من موهبة ، ونعمة أعلمك أمير المؤمنين ذلك ؛ لتأخذ حفظك الله بحظك الوافر منه ، وتضرب بسهمك الفاتر فيه إذا كان نتيجة تدبير عز الدولة) .

(رايات أمير المؤمنين مَنصورة ، وعداته مقهورة) الجملة الفنية الخبرية السابقة كما نعلم هي كناية عن نسبة ، فقد نسب النصر إلى الرايات ، وليس إلى الجنود حاملي الرايات . كما احتوت

---

[٣٧] المُختار من رسائل أبي إسحاق الصّابي : ط . شكيب أرسلان ، ص ١٦١ .

[٣٨] المصدر السابق : ص ٢٢٠ .

[٣٩] - المصدر السابق : ص٤٤٥

الجملة أيضاً على الإيقاع الصرفي بين كلمتي [منصورة - مقهورة] ، واللتين قد جاءتا على نفس الوزن الصرفي (مفعول) ، وقد تعمد الصّابي الإتيان به بهذا الوزن الصرفي إيماناً منه لما يُحدثه من تكرار وقع معنى الكلمة واستمرارها في الأذن ، وذهن المتلقي لهذا الخبر السعيد بعد هزيمة الأعداء ، وأسر الدمستق عظيم الروم ، ورفع راية الحق ، ومحق الباطل ونهايته .

المَجاز:

لعب المجاز دوراً في رسائل الصّابي ؛ ليصور المضمون الذي يريده كاتبنا . ومشكلة المجاز والتشبيه والكناية أن إحساسنا بها يختلف عن إحساس أهل عصرها بها ، فالكلمات في حركة دائبة ، ومعانيها تتحرك ضيقاً واتساعاً ، ورُبَّ كلمة مَجازية كان لها أثر فعال ، وقتذاك ولما انتقلت إلينا ، وعرضناها على عقولنا وعواطفنا وخبراتنا ، فقدت الكثير من بريقها ، ويحدث العكس مع كلمة أخرى ، نضفي عليها من الإحساس والمضامين ما نتصور أنه مُلازم لها حين قيلت ، والأمر غير ذلك ، ولا يبقى لدينا إلاَّ مقياس النسبة اللغوي .

- ومثل ذلك قول الصّابي في رسالته الأدبية مُصوراً ملحمة حربية بين المسلمين ، والروم على هذا النحو :

(ولمّا استعرت الملحمة ، وعلت الغمغمة ، ودارت رحى الحرب ، واستحر الطعن والضرب ، واشتجرت سمر الرماح ، وتصافحت بيض الصفاح تداعى الأولياء بشعار أمير المؤمنين المنصور ، وتنادى الكفار بالويل والثبور ، فنكثوا على أقدامهم مُجدين في الهزيمة ، واعتدوا الحشاشة لو سلمت من أعظم الغنيمة ، واستلحمهم السيوف ، واحتكمت فيهم الحتوف ، وأخذ المسلمون منهم الثأر ، وعجل الله بأرواحهم للنار) ([٤٠]) .

المجاز هنا في قول الصّابي : (علت الغمغمة / واستحر الطعن والضرب / واشتجرت سُمر الرماح / وتصافحت بيض الصفاح) . إن الجيد هنا ليس في استخدام الصّابي للمجاز ، ولكن في توظيفه ، وفي توقيت ظهوره في العمل الفني ، وتحديد دوره ، وفي أهمية هذا الدور ، وهذا ما سنحاول إيضاحه فيما يلي ؛ لأنه نسيج العمل الفني .

جاء المجاز الذي حرص عليه الصّابي ؛ لمعايشه القارئ والسامع لتلك الصورة الحية الواقعية لمعركة حربية دائرة رحاها بين فريقين ، وتلك الصورة فيها صوت ولون وحركة ، صوت تضج به رحى الحرب ، وتعلو به غمغمة الجيوش ، ويزمجر فيه الطعن والضرب ، وتشتجر فيه السيوف بالسيوف ، فيتصايح صليلها ، ثُمَّ هذه الصيحات إما هتافات النصر ، وإما استغاثات الذعر والعويل .

نقل إلينا هذا الصوت المدوي بألفاظه الموحية ، وتصويره السمعي القوي ، وأما لون المعركة ، فهو النيران التي استعرت ، وبيض الصفاح ، وسُمر الرماح ، وكلها ألوان مُتناقضة توحي أيضاً ببعد الشقة بين الفريقين : في الإيمان والكفر - في النصر والهزيمة .

---

[٤٠] المُختار مِن رَسائل أبي إسحاق الصّابي : ط . شكيب أرسلان ، ص ٣٢، ٣٣ .

أما الحركة فهي أقوى عنصر في هذه الصورة ، صورة التشابك والاحتراب، وإذا أمعنا النظر في الألفاظ رأيناها كلها حركية مثل :[تداني / التقت / دارت رحى الحرب / الطعن والضرب / اشتجرت / تصافحت / فنكثوا على إقدامهم / استلحمتهم السيوف] كلها ألفاظ وعبارات ذات ظلال حركية فيها التحام ، واستقتال مما يُضفي على صورة المعركة حيوية وواقعية ، ويُنبئ عن خصوبة خيال الكاتب ، ودقة اختياره لألفاظه ذات الأبعاد الدلالية .

- **فنون الإيقاع في رسائل الصّابي** .

- **السجع والفاصلة المسجوعة** :

وعَلى الرغم مِن خَلط القدماء بَين السَجع ، والفاصلة المَسجوعة ، والازدواج ([٤١]) إلاّ أنهم أشاروا إلى أن الإيقاع الناتج عَن السَجع ، والفاصلة المَسجوعة وقيمته النفسية ، وأن السَجع جزء مِن المَعنى . ([٤٢])

استمع معي إلى الصّابي فِي حالة انفعالية يَكتب عَن الخليفة العباسي فِي تكرمه أمير بويهي ، فيقول في هذه الرسالة

(فإنه لبس الأمر ، وقد دبَّ الفساد فيه ، وصدئت بَصائر أهليه ، وصَار حقهم مُمتهناً مُضاعاً ، وفيئهم مُقتسماً شُعاعاً وآثار دينهم طَامسة ومَعالمة دارسة ، ورؤوس أوليائه ناكسة ، وعُيون أعدائه مُتشاوسة ، فلم يدع - أحسن الله مُكافأته - طَرفاً مَأخوذاً إلاَّ ارتجعه ، ولا حَقاً معاوناً عليه إلاّ انتزعه ، ولا عدواً باقياً إلاّ قمعه ، ولا جباراً طاغياً إلاّ صَرعه شَاهراً سَيفه فِي كل مُنتم للولاية بزعمه ودعواه ، أجنبي عنها بسرِّه ونجواه .

إلى أن ذلل الرقاب بعد استصعابها ، وإبائها وأضرع الخدود بَعد صعرها والتوائها ، ورتق الفتوق بعد تفاقمها واستفحالها ، ودمل الجروح بَعد إعيائها ،وإعضالها ، وأعاد السُلطان عَلى ما كان خُرق من هيبته ، وصان ما انتهك من حرمته) .

هذه القطعة الأدبية تَجسيد حي ، ووصف لما قَام به هذا الأمير مِن إصلاح الفساد ، وإحياء سُلطان الدولة. وإذا قرأنا النص وتأملنا صياغة الصّابي ألفاظه ، ودلالاتها عَلى مَعانيه سنرى أن أسجاعه قد لعبت دوراً مُهماً في توصيل هذا الأثر إلينا ، فحَيث الضعف ، فقد صَاغ أربعة ألفاظ على روي واحد (طَامسة - دَامسة - نَاكسة - مُتشاوسة) ، وكلها عَلى حَرف السين الهادئ الوادع الذي دلّ عَلى اختياره فِي هذا السياق عَلى الاستسلام والخُضوع .

وحينما أراد الصّابي أن يُظهر قوة مَمدوحه ، ويُشيد بِجهوده في تبدل الحال من الضعف إلى القوة وفق إلى أربعة ألفاظ أُخر مَسجوعة عَلى روي مُغاير : [ارتجعه / انتزعه / قمعه / صرعه] . ولعلنا نَحس ما فِي حَرف العين الحلقي من إيحاءات بالقوة والغلبة ، وربما أسهمت هذه السجعات

---

[٤١] - أخلاق الوزيرين : أبو حيان التوحيدي ، تحقيق / مُحمد بن تاويت الطنجي – ط . دار صادر ، بيروت سنة ١٩٩١م ، ص ٤٤٨

[٤٢] المُختار مِن رَسائل أبي إسحاق الصّابي : ط . شكيب أرسلان ، ص ٢١٨.

بجرسها المُوسيقي المُتفاوت بين الهدوء الهَامس في (السين) ، والهدير الصاخب في (العيــن) في نقل انفعال الكاتب بالمعاني التي أراد إشعارنا بِها عَلى لسان الخليفة .

وفِي هَذا يقول دكتور/علي الجندي :(فالكلام المُوسيقي المُتوازن على اختلاف ألوانه هتاف النفس حين تَضطرم بِنوازع النَشوة ، والألم والسُرور والحُزن ، والرَضا والغَضب ، والبَسط والقبض تبعثه في يُسر من أعماقها سِيالاً مِدراراً كأنما تَجد فِي تَناغم ألفاظه ، ورنين أجراسه ، وتَعاطف حروفه مُتنفساً لهذا الجيشان العنيف ، وتلطيفاً لهذه الثورة الصاخبة) . ([٤٣])

ـ الطباق الموقع في رسائل الصّابي :

الطباق المُوّقع الصرفي :

الطباق الموّقع صرفياً : هو ذلك الطباق الذي يَجمع بين كونه طباقاً ، وتَوازناً صَرفياً ـ أي أنه يَجمع بين تَضاد المَعنى ، وتناغم المبنى ، كما يجمع إلى ذلك التوازن الذي ينجم عن وجود التضاد.

ومثل ذلك قول الصّابي في رسالته التي كتبها عن المُطيع لله ـ رحمه الله ـ إلى ركن الدولة أبي علي بخبر أسر الدمستق سنة اثنين وستين وثلاثمائة : (فأدى أمانة ربه مُخلصاً ، وصدع برسالته مُخلصاً ، واستنقذ هذه الأمة من الغواية ، وعرّفها طرق الهداية ، وسلك بها سواء المحجة ، ودَعاها إلى الحق بأوضح حجة ، وعدل بها عن عبادة الأوثان إلى طاعة الرحمن ، وعن دين الشيطان إلى أرشد الأديان ، فأصبح الناس على التعاطف ، والائتلاف عاكفين ، وعن التهارج والاختلاف عازفين إخواناً في ذات الله).([٤٤])

لقد فصل الصّابي بين الكلمتين المُتطابقتين [عاكفين / عازفين] بأكثر من فاصل ؛ لكي يعمل عمله في التقليل من حدة إيقاع الكلمة الأولى ، مع خلطها بإيقاع كلمات أُخرى قصرت أم طالت ، ثُمَّ العودة إلى إغلاق الجناس بالكلمة الثانية ، وفي هذا ما فيه روعة وجمال ، وإيثار للخيال. إنَّ الصّابي في مُقدمة رسالته يُريد أن يوضح مكانة النبي المُصطفى – صلوات ربي وسلامه عليه – فهو النبي الأمي المَبعوث رحمة للعالمين ، الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وتركنا على المحجة البيضاء ، فأصبح الناس لحب الإسلام عاكفين عليه ، ولترك الأوثان عازفين عنها ، إخواناً في ذات الله لا فرق بينهم .

إنَّ المعنى له دور في هذا الإيقاع حيث يحتاج إلى مثل هذه القيم الصوتية التي تعمل على التأكيد عليه وإعطائه جمالاً عند نطقه ، وكذلك يُعطي الإيقاع أهمية وجودة ، وبنائه المعنى .

وقد استخدم الصّابي الوزن الصرفي [فاعل] ، وكرره ؛ لاستجلاب النغمة الموسيقية نفسها ، واستبقاء أثرها في الأذن ؛ لأن المُتكلم أحس أن طاقات الكلمة ، وشحناتها لم تنفد بعد ، فكررها مرة أُخرى ، ولذلك حرص الصّابي على الفصل بين الكلمتين المُتطابقتين ؛ ليؤكد على أهمية

- الطباق الموّقع المُجنس :

---

[٤٣] فَن الأسجاع : جـ ١ ، ص ٥

[٤٤] ـ المُختار مِن رَسائل أبي إسحَاق الصّابي : ص ٣٥.

- وهو الذي يجمع بين الطباق والجناس ، فيفي بالمعنى والإيقاع . ومثلُ ذلك قول الصّابي في رسالة كتبها عن مُعز الدولة الحُسين أحمد بن بويه عند ظفره برُوزبهان العاصي عليه بالأهواز :

(واختص منها الإنسان بالعقل الذي هداه بعد الضلالة ، وفقهه بعد الجهالة ، وأهله به لحمل تكاليفه ، والتصرف مع تصاريفه ، والائتمار لأوامره ، والازدجار لزواجره ، والاستحقاق لثوابه ، أو عقابه ، ورحمته أو عذابه ، وهو مطلع من كل نفس ذرأها ، ونسخة برأها على طاعة مُطيعها ، وإضاعة مضيعها ، ونسك ناسكها ، وفتك فاتكها غير مُمتنع مع علمه بخوائن العيون ، وخفايا الصدور من إسراء النعمة إلى الشاكر، والكافر وإقرارها عند البر والفاجر).([٤٥])

- **<u>الإيقاع الصرفي في رسائل الصّابي</u>** :

لابد من أن نُفرق بين الإيقاع العروضي ، والإيقاع الصرفي ، فإذا كان إيقاع العروض يقع من تكرار الحركات والسَكنات بشكل مُتجانس ؛ فالإيقاع في الوزن الصرفي يَتحقق من تِكرار الجوامد والمُشتقات مِن الكلمات التي على وَزن وَاحد في إطار البيت أو البيتين ، أو العِبارة في النثر ، وهو في حقيقة أمره تكرار للحركات ، والسكنات من خلال ضبط المسافات المكانية التي تُؤدي إلى مَسافات زَمنية للكلمات مِن حَيث ترتيب نَظمها في البيت الواحد ، أو البيتين ، أو العبارة في النثر.

وقد حَقق الصّابي إيقاعاً صَرفياً بِتوظيف أوزان صَرفية مُتعددة ، <u>وقد جَاءت على النحو التالي ، وسنبدأ بالأكثر عدداً كأمثلة توضيحية</u> :

<u>الوزن الصرفي فاعل</u> : وهذا النوع هو الأكثر وُروداً عند الصّابي ، وفيه يَكون الإيقاع نَاتجاً عَن تَماثل الإيقاع الصَرفي ، فحسب وقد جاءت الأسماء على أوزان صرفية مُتعددة .

- ومثل ُذلك قول الصّابي في رسالته عن المُطيع لله - رَحمه الله - إلى رُكن الدولة أبي علي بخبر اسر الدمستق سنة اثنتين وستين وثلاثمئة :

(أما بعد فالْحَمْدُ للّهِ ذي المنة والطّول ، والقدرة والحَول ، والغلبة والصَول ، المُتفرد بِكبريائه ، المُنعم على أوليائه ، المُنتقم من أعدائه رَافع الحق ومُعليه ، وقَامع البَاطل ومُرديه ، ومُعز الدين ومُديله ،ومُذل الكفرومُزيله المنزل رَحمته على من جاهد في طاعته المحلّ سطوته بمن جاهر بِمعصيته المُتكفل بتأييد حزبه ، حتى يظفر ، وخذلان حربه حتى يَدحر الذي لا يَفوته الهارب ، ولا ينجو منه الموارب ، ولا يعيه المُعضل ، ولا يُعجزه المُشكل .....) .([٤٦]) نتج الإيقاع الصرفي في الفقرة السابقة عند الصّابي من تَداخل الإيقاع الصَرفي المُتتالي للأسَماء ، وذلك بين فقرتي (رَافع الحق ومُعليه ، وقَامع الباطل ومُرديه) .

وقد تعمد الصّابي الإتيان بالأسماء المُتتالية ؛ لكي يُقنع السَامع تماماً بما أتى به - من مدح الخليفة ركن الدولة - الذي جاهد وقَرر مُحاربة العَاصي لأمر الله ، وأمر الخليفة إنه العَاصي الدمستق زَعيم الرُوم .

---

[٤٥] - المَرجع السَابق : ص ٣٢.

[٤٦] - المُختار من رسائل أبي إسحاق الصّابي - ط . شكيب أرسلان ، ص٤٤.

وقد امتلأت الفقرة السَابقة بِفنون الإيقاع المُختلفة بداية مِن استخدام الوزن الصَرفي الواحد (فاعل) بين جملتي (رَافع الحق ومُعليه، وقَامع الباطل ومُرديه) ، ونهاية باستخدام الصّابي المُقابلة بينهما ، والذي اعتمد فيه الصّابي على طاقات الألفاظ المُتضادة التي هي جُزء مِن الصُورة الكلية للعمل الإيقاعي الفني كله ، وليس هُو الصورة نفسها . وقد استهدف الصّابي من ذلك كله إظهار مَدى قُوة الخليفة رُكن الدولة ، فهو رافع الحق بين الناس ، ومُنزل الباطل عنهم ، وهذا لا يأتي إلاّ لرجل صَاحب حكمة ، ورجاحة عقل .

- **<u>الأساليب غير الإيقاعية في رسائل الصّابي</u>**:

أ- الإيجاز . ب - الإطناب .

- إنَّ ظَاهرة الحَذف سَمة مِن سَمات اللغات المُختلفة ، ولاسَيما اللغة العَربية ، فَهي ليست أمراً عَارضاً ، أو دَخيلاً ؛ لأنها ظَاهرة يَتطلبها الحَال ، ويَفرضها التَعامل مَع الألفاظ والحُروف ، وفَن يَزيد النَص حُسناً ، يُضاف إلى ذلك أنها ظَاهرة تُجنبنا الثَقل الذي يُسببه التقاء السَاكنين ، أو عَدم تُجانس الحروف ، كَما يُعد الحَذف ضَرورياً ، وبِخاصة فِي حَالة طُول العُنصر اللُغوي ، أي طُول الجُملة الذي يُسبب مَللاً وتكراراً غَير مُفيدين ، كما أنه يُساعد عَلى الفَهم السَريع للمعنى ، ويَجعل القارئ فِي اتصال دَائم بالعناصر الأُخرى المُكونة للجُملة ، فيسهل عَليه الرَبط بينهما ([٤٧]) فله إذاً دَور مُهم فِي الوَظيفة الإبلاغية ، والاتصالية .

والحَذف عَملية تَخيلية بالأساس ، وهُو يَستمد أهميته مِن حَيثُ إنه لا يورد المُنتظر مِن الألفاظ ، ومِن ثَمَّ يُفجر فِي ذِهن المُتلقي شُحنه فَكرية تُوقظ ذَهنه ، وتَجعله يُحاول أن يَتخيل المَقصود .

وعَملية التَخيل هَذه (التي يَقوم بِها المُتلقي) تُؤدي إلى حُدوث تَفاعل مِن نَوع مَا بَينه ، وبَين المُرسل ، وهَذا التَفاعل قَائم عَلى الإرسال النَاقص مِن قِبل المُرسل ، وتكملة هَذا النَقص تَعتمد عَلى مَهارة المُتلقي الذي يَجب أن يَكون مُتلقياً عَمدة قادراً عَلى إعطاء قِراءة الرَسالة حَتى ، وإن كانت مُشفرة . غَير أن هَذا الحَذف غَير مُحبذ فِي كُل الأحوال ، إذ يَنبغي ألاَّ يتبعه خَلل فِي المَعنى ، أو فَساد فِي التركيب . لذا لابد أن يَتأكد المُرسل مِن وُضوح المَحذوف فِي ذِهن المُتلقي، وإمكان تَخيله . ([٤٨])

الحَذف ليس تَقنية فَنية تَستخدم لِتنميق العَمل الأدبي ، أو لإظهار هَذه المَهارات ، أو تلك ، (فالأساس العَام لِمفهوم الحَذف يَنطلق مِن الحَاجة الفنية للمُعبر فِي استخدام هَذا النَسق مِن الأداء ، بِحيث يَكون العُدول عَنه إفساداً له) . ([٤٩])

ومثلُ ذلك قَول الصّابي فِي رَسالته : ([٥٠])

---

[٤٧] - المُختار من رسائل أبي إسحاق الصّابي - ط . شكيب أرسلان ، ص٤٤.

[٤٨] - الأسلوبية في القرآن الكريم : ذغدوة دياب ، مجلة الأثر ، ع ٢٤ - جامعة ورقلة ، مايو ٢٠٠٥م ، ص ١٢٦

[٤٩] - البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب ، ط . لبنان ، ص ٣١٣

[٥٠] - - المُختار من رسائل أبي إسحاق الصّابي ، ص١٤.

(لا تزاحمه مَناكب القُرناء والأمثال ، بَل هُو الصَمد الذي لا كُفوء لـه ، والفَذ الـذي لا تُؤام معـه ، والحَـي الـذي لا تَخترمـه المنـون ، والقيـوم الـذي لا تَشـغله الشـؤون ، والقَـدير الـذي لا تُـؤدوه المُعضلات ، والخَبير الذي لا تُعيبه المُشكلات ، خَلق فأحسن ، وأسس فـأتقن ، ونطق ففصل ، وحَكم فَعدل ، وبَرأ البرايا صنوفاً وضروباً ، وقسمها فرقاً وشُعوباً ، واختص مِنها النـاس بالألباب و الإفهام) . الإيجاز فـي الفقرة السابقة هو قول الصّابي : (الذي لا كفوء له) ، فلقد أوجز الصّابي هنا بحذف الجار والمجرور ؛ لإفادة العموم والشمول ، فأصل الجملة : (الذي لا كفوء لـه في كل شيء).

وأيضـاً الإيجـاز فـي قـول الصّـابي : (والفـذ الـذي لا تُـؤام معـه) ، أيضـاً حـذف الصّـابي الجـار والمجرور (في الإلوهية) ، وهذا الحذف أفاد الوحدانية ، والتفرد بالعبودية .

وهناك إيجاز آخر ، وهو قوله : (خلق فأحسن ، وأسس فأتقن ، ونطق ففصل) ، وهو هنا قد حذف المفعول به ؛ لإفادة العموم والشمول ، والمَحذوف هنا هو المصدر للفعل ، فأصل الجملة [خلق فأحسن الخلق ، وأسس فأتقن التأسيس ، ونطق ففصل النطق].

الإطناب سمة واضحة كل الوضوح فِي رَسائل الصّابي إذ يُنشئ الرسالة ، ويُطيلها ويَحشد فيها كل كبيرة وصغيرة من أفكاره في إحاطة تامة بِموضوعه ، فلا يترك منها شَاردة ، ولا واردة .

وربما كانت طبيعة رَسائل أبي إسحاق الصّابي السياسية سَبباً قوياً لإيثاره المعاني المُترادفة ، أو الجُمل المُتعددة المفضية إلى معنى واحد . وقد اتخذ الصّابي من الإطناب مَذهباً لا يَحيد عنه ، يلمس ذلك بجلاء كل من قرأ له ، ولو بضعة سطور- واحسبنا قد اعتدناه ، وهو أسلوب فضفاض يقوم على استقصاء الألفاظ ، واستيفاء الأفكار واستيعاب ذلك كله بين دفتي الرسالة .

<u>من أمثلة الإطناب</u> في رسائل أبي إسحاق الصّابي <u>قولـه</u> :

(والْحَمْدُ للّهِ الذي آثر أمير المؤمنين بالخلافة ، واختصه بالإمامة ، واستخرجه من سر العنصر الكريم ، واستخلصه من معدن الشرف الصميم ، وحاز له مواريث آبائه الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين الذائدين عن حوزته ، القائمين بحجته العاملين لبلاده ، الراعين لعباده الآمرين بما أمر، الناهين عمّا حذر ، ونصبهم علماً يهتدي به المهتدون ، ومُقتضى يقتضي به المقتدون ، ودليلاً من اتبعه فاز ، وغنم ، ومن عدل عنه ضل وندم ، وإليه جل ثناؤه رغبته في توفيقه للوفاء بعقوده ، والوقوف على حدوده ، والانتهاء في لم الشعث ، ورأب الثأي، وسد الخلل، وتعديل الميل إلى حيث يُدنيه من رضاه ، ويقربه من زلفاه ، ويسعده في دينه ، ودنياه ، أُولاه وأُخراه) . ([٥١])

أرأيت هذه الجُمل المُترادفة التي تتوافق معانيها (آثر أمير المُؤمنين بالخلافة ، واختصه بالإمامة علماً يهتدي به المُهتدون ، ومقتضى يقتضي به المُقتدون) ، ثُمَّ هذه العبارات القصيرة المُتتابعة

[٥١] - المُختار من رَسائل أبي إسحاق الصّابي ، ط. شكيب أرسلان ، ص ١٦١ – وفي المُختار المُحقق : ص١٤٠ .

(لم الشعث ، ورأب الثأي ، وسد الخلل ، وتعديل الميل) ، ثُمَّ الترادف بين (يدنيه من رضاه ، ويقربه من زلفاه) .

وقد أشرنا إلى انتقاد ابن الأثير مَسلك الصّابي في هذا الترادف ، وعرفنا أنه من قبيل التوسع اللغوي ، وإشباع المعنى ، واستقصاء جميع وقائعه ؛ ليزداد في النفس تمكيناً.

والإطناب يتسم ببسط الكلام وتبيانه ، وتوضيح مَغزاه . ونُلاحظ أن الكاتب أتى بألفاظ واضحة ،ولم يعمد إلى الألفاظ المجازية ؛ كي يفهمه العام والخاص .

وهذا مثال(لون) آخر من الإطناب عند الصّابي ، حيث يقول : (والله يديم لأمير المؤمنين الهداية والتسديد ، ويمده بالعون والتأييد ، ويحرس عليه هذه الدوحة النفيس جوهرها،المهذب عنصرها ، الطيب جناها ، الظليل ذراها ،

التي شرفها بغرسه ، واستخلصها لنفسه ، وسقاها بسجله ، ورعاها بعينه مستثمراً بها البركة في أموره ، والفسحة في تعميره ، والنصر لرايته ، والولاء لكلمته ، وسكون الدهماء للمسلمين في أيامه ، وتكافؤهم في شمول إنعامه ، وفيها معاشهم ، أثيثاً رياشهم ، آمناً سربهم صافياً شربهم ، ويريه في كل ما يعتمد من حظ وحزم ويجتهد من رأي وعزم ، أحسن ما أتاه عبداً كلفه ، واستكفاه، وإماماً استحفظه واسترعاه) . ([٥٢])

<u>المبحث الثالث</u> : رَسائل الصّابي في ميزان النقد.

- لعلنا نتساءل لماذا نَضع رَسائل الصّابي فِي مِيزان النقد، ولم نَضع شَعره مَثلاً ؟!

- إنّ الصّابي كاتب بالدرجة الأولى أكثر مِن كَونه شَاعراً بالإضافة إلى قِيمة الرَسائل فِي عَصره - فهي لا تقل في أهميتها عند مَن سَبقوه - فهي مُهمة للشعوب تُعلن أخبار الفتوح ، والعَهود، ومبادئ الحكم ، وكان الخليفة يُطالب العامل أو الأمير المُرسل إليه العهد ، أو الرِسالة أن يَقرأها على المنابر ، ويذيع ذكرها في البلاد مثل قول الصّابي على لسان الخليفة البُويهي مُتحدثاً إليه عَن مَوقعة انتصر فيه البُويهيون على الروم ، ورجعوا بالغنائم ، وأسروا الدمستق عظيم الرُوم ، فيطلب أمير المؤمنين أن يُذاع الخبر، فيختم الصّابي رسالته <u>بقوله</u> :

(ولتتقدم بإشاعته وإذاعته ، والتَحدث به ، وإفاضته،والكتابة بشرحه إلى الأعمال التي تليه، والأطراف المُتصلة بنواحيه ، فيشترك الخاص والعام فِي الجَذل به ، ويستوي القاصي والداني في الإبتهاج له إن شاء الله) . ([٥٣])

- قيمة الرَسائل فِي القَرن الرَابع الهجري، فما بالنا باسلوب كَاتب هَذه الرَسائل الذي خَطه يراعه فِي دِيوان الإنشاء ، واستحوذت على الألباب،واستأثرت مِن بُلغاء العَصر كُتابهم ، وشُعرائهم بِكل إعجاب ومَكنته مِن الإتصال بِجهابذة أهل عَصره ، ونَيل ثَنائهم . نَحن لا نُريد أن نَضع للرَجل

[٥٢] - المُختار المُحقق: ص ١٧٥

[٥٣] - - الرِسالة كَاملة فِي المُختار من رسائل أبي إسحاق الصّابي : ط . شكيب أرسلان ، ص ٣٥ .

شَهادات تَقدير، بل نَضع له شَهادات تَقييم تُوضح لنا فِيما أبدع ، وفِيما أخفق . **الأولون** : الذين أيدوه فِي مَنهج رَسائله ، وأثنوا عليه .

- قَال في حقه ابن الأثير :(كيف أضع من الصّابي وعلم الكتابة قد رفعه وهُو إمام هَذا الفَن والوَاحد فيه؟ ولقد اعتبرت مُكاتباته فوجدته قد أجَاد فِي السُلطانيات كل الإجادة وأحسن كل الإحسان، ولو لم يكن له سوى كتابه الذي كتبه عَن عَز الدولة بختيار بن بويه إلى سَبكتكين عند خروجه عليه ومجاهرته إياه بالعِصيان لاستحق به فضيلة التقدّم، كيف وله من السُلطانيات مَا أتى فيه بِكل عَجيبة لكنه في الإخوانيات مقصر وكذلك في كتب التعازي). ([٥٤])

عَلى أن ابن الأثير كانت له وقفات نقدية مَع رَسائل الصّابي تثري الفكر ، وتَشحذ القلم ، وسَيرد عليها ابن أبي الحَديد فِي كتابه (**الفلك الدائر على المثل السائر**).

- وقد ألمح أبو حيان التوحيدي إلى مكانة الصّابي الجليلة ، وأبان أنها لا تخلو من حاسد، أو جاهل في قوله :

(هذا ونظمه منثوره، ومنثوره منظومه؛ إنما هُو ذهبٌ إبريزٌ كيفما سبك فهو واحد، وإنما يختلف بما يصاغ منه ويشكل عليه؛ هذا مَع الظرف النَاصع والتَواضع الحَسن، واللهجة اللطيفة، والخُلق الدمث، والمعرفة بالزمان، والخبرة بأصناف الناس؛ وله فنونٌ من الكلام ما سبقه إليها أحد، وما ماثله فيها إنسان. وإني لأرحم من لا يسلم له

هذا الوَصف، لأنه إما أن يكون جَاهلاً، وإما عالماً فإن كان جاهلاً فهو مَعذور، وإن كان عَالماً فهو مَلوم، لأنه يدل من نفسه - بدافع ما يعلمه - على حَسده، والحَاسد مهين) . ([٥٥])

- قَال فِي حقه أبو مَنصور الثَعالبي : (هو أوحد العراق فِي البلاغة، ومن به تثنى الخناصر في الكتابة، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة في الصناعة، وكان قد بلغ التسعين في خدمة الخلفاء، وخلافة الوزراء، وتقلد الأعمال الجلائل، مع ديوان الرسائل، وحلب الدهر أشطره، وذاق حلوه ومره، ولابس خيره ومارس شره،

ورئس ورأس، وخَدم وخُدم، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء، وشاع ذكره في الآفاق، ودون له من الكلام البهي النقي العلوي ما تناثرت درره وتكاثرت غرره، وفيه يقول بعض أهل العصر من البحر الكامل :

- أصبحْتُ مُشتاقاً حَليفَ صَبابةٍ بِرَسائلِ الصّابي أبي إسحَاقِ

---

[٥٤] - المثل السائر : جـ ١، ص٣٣٢ .

[٥٥] - الامتاع والمُؤانسة : ص ٦٧، ٦٨ .

- صَــوبُ البــلاغَة وَالحــلاوَةِ والحِــجَى ذَوْبُ البــراعــةِ سَلــوةُ العُــشــــاقِ

- طَــوْراً كـمــا رَقَّ النــسيــمُ وتــــارَةً يـحكــى لـنــا الأطــواقَ فـي الأعـنَــاقِ) ([٥٦])

- **<u>الآخرون</u>** : <u>الذين عارضوه ، وأظهروا عيوباً في هذا المنهج</u> .

إنّ ابن الأثير قد هَاجم الصّابي هُجوماً عَنيفاً- سَنعرض بَعضها - إذ بدأ نقده إياه بإيراد مقتطفات مِن رِسالته فِي الفرق بين المُترسل ، والشَاعر مَبتورة في بعض الأحيان عن سياقها ،وقبل أن يتعرض لها بالنقد <u>قــال</u> :

(ولقد عجبت مِن ذلك الرَجل المَوصوف بذلاقة اللسان، وبلاغة البيان، كيف يصدر عنه مثل هذا القول الناكب عَن الصواب الذي هُو فِي بَاب ونصى النظر في باب؟ الله غفرا، وسَأذكر مَا عِندي فِي ذلك، لا إرادة للطعن عليه، بل تحقيقاً لمحل النزاع) . [٥٧]

وبعد هذه المُقدمة التي فيها مَا فيها مِن الهُجوم المُعلن والطَعن المُسبق يفند ابن الأثير جُزئيات الرِسالة ، فيقول فِي الأمر الذي نَحن فيه :

(فأقول: أما قوله إن الترسل هُو ما وَضح مَعناه ،والشَعر مَا غَمض مَعناه، فإنَّ هَذه دَعوى لا مُستند لها، بل الأحسن فِي الأمرين مَعاً إنما هُو الوُضوح والبيان، على أن إطلاق القَول عَلى هَذا الوَجه مِن غَير تَقييد لا يَدل عَلى الغَرض الصحيح، بل صَواب القول فِي هَذا أن يُقال: كُل كلام مِن مَنثور ومَنظوم فينبغي أن تكون مُفردات ألفاظه مَفهومة، لأنها إن لم تكن مَفهومة فلا تكون صَحيحة).

- <u>ويستمر ابن الأثير في منهجه، فيقول</u> :

وأما قوله في الفرق بين الشاعر والكاتب (إن الشاعر من شأنه وصف الديار والآثار والحنين إلى الأهواء والأوطار والتشبيب بالنساء والطلب والاجتداء والمَديح والهِجاء، وإن الكاتب مِن شَأنه الإفاضة فِي سَداد ثغر ،أو إصلاح فساد أو تحريض على حياد أو احتجاج على فئة أو مُجادلة لمسألة أو دعاء إلى ألفة أو نهي عن فرقة أو تهنئة بعطية أو

---

[٥٦] - يتيمة الدهر فِي مَحاسن أهل العصر : الثَعالبي – تَحقيق مُحمد مُحي الدين عَبد الحَميد ،ط ٢ – مَطبعة السَعادة ، القاهرة، سَنة (١٣٥٧هـ - ١٩٥٣م) ، وطبعات أُخرى جـ٢ ، ص ٢٤٢، ومُعجم الأدباء : ط. دَار المَأمون ، مَكتبة الحَلبي - القاهرة - سَنة (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م) ،جـ٢، ص٢٧ .

[٥٧]

تعزية برزية " فإن هذا تحكم محض لا يستند إلى شبهة، فضلاً عن بينة، وأي فرق بين الشاعر والكاتب في هذا المقام؟ فكما يصف الشاعر الديار والآثار، ويحن إلى الأهواء فكذلك الكاتب في الاشتياق إلى الأوطان، ومنازل

الأحباب والإخوان، ويحن إلى الأهواء والأوطار، ولهذا كانت كتب الإخوانيات بمنزلة الغزل والنسيب من الشعر وكما يكتب الكاتب في إصلاح فساد،أو سداد ثغر، أو دعاء إلى ألفة، أو نهي عن فرقة، أو تهنئة، أو تعزية، فكذلك الشاعر، فإن شذ عن الصابي قصائد الشعراء في أمثال هذه المعاني فكيف خفي عنه قصيدة أبي تمام في استعطاف مالك بن طوق على قومه التي مطلعها :

- لو أنَّ دهراً رَدَّ رَجْعَ جوابي

ولو أخذت في تعداد قصائد الشعراء في الأغراض التي أشار إليها وخصّ بها الكاتب لأطلت وذكرت الكثير الذي يحتاج إلى أوراق كثيرة، وكل هذه الفروق التي نص عليها وعددها فليست بشيء، ولا فرق بين الكناية والشعر فيها)

(نتائج البحث)

- بعد أن تَم عَرض المَنهج ، وبَعد أن طَبقنا مَا رأيناه مِنه على رَسائل الصّابي ، وبَعد أن حَاولنا - على قدر إمكاناتنا - أن نَدرس البلاغة فِي رَسائل أبي إسحاق الصّابي دَرساً مُتفحصاً رأينا أن هَذه الدِراسة قَد حَققت النتائج الآتية ؛ لعلها تَضيف جَديداً فِي مِيزان الصفحة الصابئية التي لم تلق العِناية الكافية بالنَظر إلى كُتاب آخرين ، فنقول : أسلوب إيصال المَعنى إلى الجُمهور لدى الصّابي كان بِطرق مُتعددة مِنها تَوظيف فُنون اللغة العربية (الإيقاع ، والنَسق اللغوي ، البلاغة)، وذلك بِرفع الصَوت وخَفضه بِما يقتضيه المَوقف ، وانحِدار الصوت وسُرعته والبطئ فيه، والتَلاعب فِي دَرجات الصَوت بين الحدة والخشونة .

استخدم البُويهيون فَن الرَسائل ؛ للدعاية لأنفسهم كما تَستعمل حُكومات اليوم أجهزة الإذاعة ، والتلفاز ؛ للدعاية للقائد المُلهم ، والمُنقذ الأعظم .

عندما ننظر إلى رَسائل الصّابي وفنونه الإيقاعية لابد أن نَدرسه عَلى أنه نَسيج واحد ، وَحَديقة مُنفردة ، وفن مُستقل ، ولا نربط بينه وبَين غيره مِن الكُتاب ؛ لأن لكل كاتب خُصوصية فِي فهمه لِفن الأدب ، وتوظيفه للعناصر الفنية المختلفة ، والتي مِنها فنون الإيقاع ، فيكون مِن الاجحاف أن نُوازنه بِغيره مِن الأُدباء .

ليست فُنون الإيقاع لدى الصّابي مِن الطباق الموّقع ، والإيقاع الصرفي ، والجِناس ، والسَجع ، والفاصلة المَسجوعة مُجرد تلاعب لفظي ، وإنما تَدبيج ؛ لتمكين المَعاني وتقويتها .

أما مَثلاً الجناس الذي يُؤدي إلى تعقيد ، ويَحول دُون انطلاق المَعاني ، فهو المُتكلف ، وهو مَا ابتعد عَنه الصّابي ؛ لأن التكلف إذا ظَهر فِي الكلام هجّنه ، وقَبح مَوقعه .

- إنَّ الصّابي إن كان قَد أثرى التَاريخ بالمَعلومات التاريخية ، فإنه كان يُخالف الحقائق أحياناً لاسيما فِي تَمجيد البُويهيين ، وإسباغ المَحامد عَليهم بِما لا يتفق مَع الوَاقع التاريخي كَما قرأنا فِي سِيرة بختيار بن مُعز الدولة .

وهذه الحقيقة تُطلعنا عَلى خُضوع الكاتب الرَسمي لمُستكتبيه ، ومَيل قلمه مَعه حيثُ مال ، وتدل كذلك على شِدة بَطش البُويهيين بمَن ينأون عَنهم ، ويتنكبون طُرقهم ، واطلاعنا عَلى الزيف قيمة لها دلالاتها السِياسية .

إنَّ أسلوب الصّابي يَنتمي إلى عَصره إلى القرن الرابع الهجري ، ولكنه يتميز بتغليب بعض الخَصائص في كتاباته ، لعل من أبرزها التضمين واستغلال عَناصر التراث بِصورة قوية .

وقد سَرى الرافد الإسلامي سَرياناً عَميقاً تجلى فِي آيات القرآن الكريم ، وفِي الحَديث النبوي الشَريف اقتباساً واستلهاماً ، وفِي التحميدات الطويلة ، والكثيرة والصَلوات والتَسليمات على رَسولنا - صلى الله عليه وسلم - ومُصطلحات المُعتزلة ، والاستمداد مِن الخُطب مَعانيها الإسلامية الخَالصة (التواضع،والتزلف للوزراء والخُلفاء) ، فإن اعتماد الكُتاب عَلى الوزراء والخلفاء فِي مَعيشتهم وخَوفهم الدائم مِن النكبات جَعلهم يتزلفون ويتواضعون لِهؤلاء ، ويُعفرون أمامهم الجِباه ؛ إرضاءً لهم ، واكتساباً لِعطائهم ، وابعاداً لِسخطهم وغَضبهم ، ويَبدو هَذا التذلل فِي الكثير ممّا كتبه الصّابي ، كرَسائله مثلاً إلى المُهلبي ، وعَضد الدولة .

- إنّ رسائل الصّابي حَول سجنه ونكبته وفقره ، واستعطافه الأمراء ؛ للعفو عنه ، أو مُساعدته تُصور حَالة فردية تعكس ظاهرة عَامة يَتعرض لها الكُتاب فِي القرن الرابع الهجري ، حيثُ إنَّ حياة الكاتب فِي تلك الحِقبة الزَمنية يَشوبها الكثير مِن عَدم الاستقرار، والتعرض للنكبات والمُصادرات والسجن .

لعل السجع مِن أكثر الخصائص الفنية بُروزاً عند الصّابي ، فقد استخدمه فِي رَسائله الديوانية والإخوانية ، والسَجع بِوصفه استعمالاً صَوتياً للفظ يعنى بتوافق فواصل الجُمل بانتهائها بِحرف في مَقطعين ، وأكثر تمثل إيقاعات مُتساوية ومُتناغمة ، وهو مِن مُميزات بَلاغة العرب الفطرية ، وهو المَعروف مُنذ الجاهلية حيثُ استعمله الخُطباء فِي خطبهم ، ولا سيما تلك التي كانت ذَات مَوضوع ديني .

- أبو إسحاق الصّابي كَان مُعتدلاً فِي إستعمال الزَخارف الفظية بإستثناء السَجع الذي التزمه ، ورَأينا كيف خفف مِن حَدة هَذا الالتزام بِتقصير فقراته وتَنويع قَوافيه والاستعانة عَلى تلحينه بإستخدام الضَمائر.

(هــوامــش البحـــث)

المراجـــع :

- القـرآن الكـريـم .

- آدم ميـتــز : الحضارة الإسلاميـة فِـي القـَرن الرَابـع الهَجـري، تَـرجمـة د/ مُحمـد عَـبد الهادي أبو رِيـدة ، ط ٤ ، بَـيـروت – سَنـة(١٩٦٧م).

- ابـن الأثيــر (ت ٦٣٧هــ) :المَثل السَائر فِي أدب الكاتب والشَاعر ، تحقيق د/ أحمد الحُوفي ، ود / بَدوي طبانة طبعة القـاهـرة ، سَنـة (١٩٥٩م - ١٩٦٢م).

– ابـن الأثيـــر(ت ٦٣٠هــ): الكـامـل فِـي التَـاريخ ، تَصحيح عَبد الوَهـاب النَجـار ، المَطبعة المُنيرية ، سَنة (١٣٥٣هـ - ١٩٣٨م).

- أحـمـد ذَكـي صَـفــوت : أ – جَمهرة خُطب العـرب ، طَبـعـة الحَلبـي .

ب – جَمـهــرة رسـائل العـرب ، مَطبعـة مُصـطفى البَـابي الحَلبـي ، ط ١ ، سَـنة (١٣٥٦هــ - ١٩٣٧م) .

- أحـمـد أميــن : ظـهـر الإسـلام ، ط ٤ ، لَجنـــة التـأليـف والـتَـرجمـة والنَشـــر – سَنـــة (١٩٦٩م).

– إبـراهيـــم أنيـس ، وآخَـــــرون : المُعجـم الوَسيـط ، ط ٢ ، طَبـعـــة دَار إحيـــاء التـُراث الإسـلامـي سَنـة (١٣٩٢هـ - ١٩٧٥م) .

– إبـراهيـم الكـيـلاني : أبوحَيان التوحيدي ، طَبعة دِار المَعارف بِمصر، ط ٤ ، سَنة (١٩٨٠م) .

- أبـو إسحـاق (ت ٣٨٤هـ) : أ – رَسـائـل الصّابي والشريف الرَضي : تحقيق / مُحمد يُوسف نَـجم ، ط التـراث العربي ، الكـويـت - سَنـة (١٩٦١م).

ب – رَسـائـل أبـي إسـحاق الصّـابي ، نُسـخة مخطوطـة – دار الكتـب المصـرية ، تحـت رقـم ١٥٢٧(أدب) .

جـ - المُختـار مِـن رَسـائـل أبِـي إسحاق الصّـابي ، نُسخة مَطبوعـة ، الجـزء الأول من المُختـار نَـشره الأمـيـر شِكـيـب أرسلان ، الطبعة العُثمانية بِعبـده – لِبـنـان سنـة ١٨٩٨م ، وطبـع مَـرة ثـانـيـة بِـدار النهضة الحديثة ، بَـيـروت نـقـلاً للطبعة السـابـقـة ، سَنـــة (١٩٤٣م).

د - المُختـار مـن رَسـائل أبـي إسـحاق الصّـابي ، تحقيـق و دراسـة د / مُحمـد يُـونس عبـد العـال ، رِسـالـــة دكتـوراه – مَخطوطـة بـآداب القاهـــرة ، سَـنة(١٩٧٧م)، مَحفوظـة بمكتبـة جَـامعة الـقـاهـرة تَحت رقـم ٢٣٧٢ (رَسـائـل).

– البَاقلاني (ت٤٠٣هـ): إعجاز القرآن، تَحقيق د / السَيد أحمد صَقر ، ط - المَطبعة السَلفية سَنة (١٣٤٩ هـ).

- البُحتري : الدِيوان تَحقيق / حَسن كامل الصَيرفي ، دَار المَعارف - ط ٢ ، سَنة (١٩٧٨م) .

- التوحيدي (أبو حيان ت٤٠٠هـ) : أ- أخلاق الوَزيرين : تَحقيق / مُحمد بن تاويت الطنجي - دَار صَادر بيروت ، سَنة (١٩٩١م) .

ب – الإمتاع والمؤانسة : تحقيق د/ أحمد أمين ، وأحمد الزين ، ط لَجنة التَأليف والتَرجمة والنشر – سنة (١٩٣٩م – ١٩٤٢م).

جـ - المُقابسات : تحقيق / حَسن السَندوبي - طَبعة الرَحمانية سَنة (١٩٢٩م).

– الثَعالبي (ت٤٢٩هـ) : يتيمة الدهر فِي مَحاسن أهل العصر - تَحقيق مُحمد مُحي الدين عَبد الحَميد ،ط ٢ – مَطبعة السَعادة ، القاهرة، سَنة (١٣٥٧هـ - ١٩٥٣م) ، وطبعات أُخرى .

– الجهشياري (ت ٣٣١هـ): الوزراء والكُتاب ، تَحقيق / عَبد الله إسماعيل الصَاوي - القاهرة - سَنة(١٩٣٨ م) .

- جُورجي زِيدان : تَاريخ آداب اللغة العربية ، مَطبعة الهلال - سَنة(١٩٣٧ م) .

- ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ):المُنتظم فِي تَاريخ المُلوك والأُمم ، طَبعة دار المَعارف العُثمانية ، بغداد - ط ١ ، سَنة (١٣٥٨هـ).

- ابن جني (ت٣٩٢هـ): الخَصائص تَحقيق / مُحمد علي النَجار ، ط ٣ – المُصورة – طبعة دَار الكُتب القاهرة ، سَنة (١٩٥٣م) .

- الجرجاني : الوَساطة بَين المُتنبي وخُصومة ، تَحقيق / مُحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعَلي مُحمد البجاوي ط عِيسى الحَلبي ، ط ١ - سَنة (١٩٦٦م) .

- جَابر قِميحة :أدب الرَسائل فِي صَدر الإسلام ، ط. دَار الفَكر العربي ، ط ١١ - سَنة (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .

- جَابر عَصفور : الصُورة الأدبية فِي التُراث النَقدي والبَلاغي ، دَار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة - سَنة (١٩٧٤م).

- جَميل صليبا :تَاريخ الفَلسفة العَربية ، دَار الكتاب اللبناني بَيروت ، ط٢ - سَنة (١٩٧٣م).

- أبو حيان (ت ٤٠٠هـ): أ – أخلاق الوزيرين ، أو مَثالب الوزيرين ، الصاحب بن عباد ، وبن العميد ، تحقيق د / إبراهيم الكيلاني ، مَطبعة دمشق، سَنة(١٩٦١ م).

ب – الإمتاع والمؤانسة ، تحقيق د / أحمد أمين ، وأحمد الزين ، طَبع لَجنة التأليف والترجمة والنَشر ـ سَنة (١٩٣٩ : ١٩٤٢م) .

جـ ـ المُقابسات ، تحقيق حَسن السَندوبي ، طَبعة الرَحمانية ، سنة(١٩٢٩م).

– ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ): الفلك الدائر على المَثل السائر ، ويلي المَثل السائر لابن الأثير ضياء الدين .

ـ الحُصري (ت٤١٣هـ): زهر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق د/ ذكي مُبارك ، ط دَار الجيل ، بيروت ، ط ٤ ـ سَنة (١٩٧٢م) .

ـ حَاجي خَليفة : مُصطفى بن عَبد الله،كَشف الظنون عَن أسامي الكُتب والفنون ، ط . اسطنبول (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م) .

ـ حَفني أحمد شَرف :التَصوير البياني ، مَكتبة الشباب – القاهرة سَنة (١٩٧٠م).

ـ حُسني عَبد الجَليل يُوسف: البَديع فِي شَعر الخَنساء بين الإتباع والإبداع ، ط١ ـ مَطبعة الأنجلو المِصرية ، القاهرة- سَنة (١٩٧٠م) .

ـ ابن خلكان(ت ٦٨١هـ): وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزَمان ، تحقيق د / إحسان عَباس ـ دَار الثقافة بَيروت لبنان سَنة(١٩٦٨م) .

ـ الخَطيب القزويني (ت٧٣٩هـ):الإيضاح فِي عُلوم البلاغة ، ط ١ ـ طبعة دَار الأرقم للطباعة والنَشر ، سَنة (١٩٤٩م).

ـ الخفاجي (ت٤٦٦هـ): سِر الفَصاحة ، ط . دَار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ـ سَنة (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

ـ خَليل مِردم :ابن العَميد ، دِمشق مَكتبة عَرفة – مَطبعة الاعتدال سَنة (١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م).

ـ ابن رشيق : أبو علي الحسن بن رَشيق القيرواني .

العُمدة فِي مَحاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق مُحمد مُحي الدين عَبد الحميد ، المَطبعة التجارية ، القاهرة سَنة (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) .

ـ الزركلي (ت١٣٩٦هـ): الأعلام قَاموس التَراجم ، القاهرة – ط ٢ ، سَنة(١٩٥٩م) .

ـ الزمخشري: مَحمود بن عُمر(ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة ، بَيروت ـ سَنة (١٩٦١م) .

ـ شَوقي ضيف : كُتب تَاريخ الأدب العربي .

أ – العَصر الإسلامي ، ط ٧ ـ دَار المعارف ، القاهرة – سَنة (١٩٦٠م).

ب – العَصر العباسي الثاني ، ط٢– القاهرة – سَنة (١٩٧٣ م) .

جـ - النَقد الأدبي ، ط ٥ ، دار المَعارف - القاهرة ، سَنة (١٩٦٢م).